

التأثيرات الحضارية بين عمان والهند في النصف الأول من القرن العشرين - الثقافة والفنون أنموذجاً¹

- د. عفاف السيد عبد المجيد العلي

توطئة:

يموج العالم اليوم بنظريات تمحورت إلى خطوط سياسية استراتيجية عديدة، تتبع جميعها من فكرة واحدة هي "السيطرة الاستعمارية" ولكن في صور أخرى، إما ثقافية كما في نظرية "صراع الحضارات" لصامويل هانتجتون، وإما أيولوجية كما في نظرية "نهاية التاريخ" لفوكوياما، أو من وجهة نظر متعددة الأبعاد والأركان كما في طوفان العولمة الذي يفرضه القطب الأوحّد الآن.

وبعيداً عن هذه النظريات والتطبيقات وتلك التكهّنات، فإننا من وجهة نظر أكاديمية وعلمية نحاول تتبع مسار التاريخ والواقع للوصول إلى الحقيقة، ونحاول أن نرصد المسار الذي يحدث من جراء التفاعلات بين الحضارات والثقافات على مختلف منابعها شرقاً وغرباً.

فموضوع التأثيرات الحضارية بين الثقافات في شقي القارة الآسيوية وما ينتج عنه من تأثير حضاري متبادل بين الشعوب والأمم والإثنيات والأيدولوجيات هو الذي يبيّن مدى ما بين الحضارات، سواء أكان صراع صدام، أم تفاعل وتلاقح. ومن هذا المنطق تحاول الورقة البحثية أن تقدم أنموذجين لثقافتين مختلفتين، وإن كانتا جميعاً تتدرجان تحت لواء حضارات آسيا، لكن ثمة اختلافات عظيمة

¹ هذه المقالة قدمت في الندوة الدولية حول عمان والهند: آفاق و حضارة، المنعقدة في فبراير- مارس ٢٠١١م بمركز الدراسات العمانيّة، جامعة السلطان قابوس

بينهما، ورغم ذلك فقد لوحظ كثير من التأثيرات المتبادلة حتى درجة التطابق في بعض العادات والتقاليد والسلوكيات والاتجاهات، مما يؤكد أيضاً على أن عمليات التفاعل ما زالت مستمرة، ويؤكد أيضاً أن ثمة تأثيرات أخرى بين الحضارات تتم في الواقع وفي التاريخ بعيداً عن تلك الدائرة التي يريد أن يحصرنا فيها منظروا الغرب من: العولمة -الصدام - ونهاية التاريخ-

ولعل الخطوة الأولى في أي عمل علمي أن يعرف الباحث بالظاهر موضوع الدراسة، وأن يبين جوانبها المختلفة، وأن يحاول ربطها بالظواهر الأخرى المحيطة، مما يسهم في تقديم فهم أوفى وأدق لهذه الظاهرة، وفي مجتمع مثل المجتمع العماني في النصف الأول من القرن العشرين، تكشف العادات والتقاليد عن جوهر التراث الثقافي الذي امتزجت فيه قيم المجتمع العماني ومبادئه وأخلاقه، التي تميّزت بسمات عامة أهمّها المرونة، بحيث استطاعت استيعاب قدر كبير من ثقافات مجتمعات الجوار.

ويمكن القول باطمینان شديد أن هذه الثقافة أهّلتها دائماً لقبول الآخر، وهي ثقافة منشودة في كافة الأوساط الدولية اليوم ولعل مجتمع الهند يأتي في مقدمة تلك المجتمعات، نظراً لطبيعة العلاقات التاريخية البحرية والتجارية بين البلدين، وقد استوعب المجتمع العماني الثقافات التي اكتسبها عن طريق الاحتكاك وطورها بما يتماشى مع النسق العام لعاداته ومعتقداته، دونما تفريط أو إفراط ولعل أهم ما يميز الثقافة الاجتماعية لكل من المجتمعين بساطتها وقدرتها على التعبير عن الممارسات اليومية، بحيث جعلت من تلك التجارب الإنسانية عادات وتقاليد، يعتد بها أفراد المجتمع ويؤمنون بصحتها، وأن هناك ثمة تجليات متبادلة فيما يخص الفنون الإبداعية.

وهذا ما تحاول محاور الورقة البحثية أن تقدّمها، كمحاولة منها لتبرهن على أن هناك حواراً راقياً وتبادلاً محموداً وتزواجاً ثقافياً وفنياً رائعاً، وليس بالضرورة التسليم بوصف العلاقة بين الحضارات بمصطلح (صراع طبيعي) كما قال هانتنغتون.

المنهج البحثي المستخدم:

وقد اتبعت في ورقتي البحثية تلك المنهج التاريخي الذي يهتم بالمصادر الأساسية والوثائق لتفسير الظاهرة، أي أنه يتخطى رصد الظاهرة إلى النقد

والتحليل، وهو منهج يرفض التجريد، ويتجاوز الحواجز بين الأفكار والنظم السياسية، ويركز على دراسة الواقع. وقد تضمنت الورقة جانبين مهمين من جوانب التأثير الحضاري بين الهند وعمان وهما:

أولاً: التأثيرات الحضارية في النواحي الثقافية:

واشتملت على محورين:

- التأثيرات الهندية العمانية المتبادلة في جانب اللغة.
- التأثيرات الهندية العمانية المتبادلة في جانب الأدب.

ثانياً: التأثيرات الحضارية في الفنون والعمارة:

واشتملت على محورين:

- الفنون الشعبية.
- الفنون المعمارية بين الهند وعمان.

إن المتتبع لتاريخ العلاقات بين الهند وعمان يجدها قديمة عميقة ممتدة، تلك العلاقات التي تركت تأثيرات حضارية قوية على كلا الجانبين في جميع مجالات المجتمع (الاقتصادية- والاجتماعية -الثقافية) ما زالت قائمة حتى الآن، حيث نرى كثيراً من تجليات الحضارة الهندية تلقى بظلالها على الحضارة العمانية والعماانيين الذين عاشوا المهاجرين الهنود على أرض عمان، تلك التأثيرات الحضارية التي تعد نموذجاً للمؤثرات المتبادلة بين العرب والهنود ولعل أبرز تلك التجليات المتبادلة للحضارة الهندية فيما يخص النواحي الثقافية (بكافة روافدها) على نظيرتها العمانية، وقبل التبحر في تلك التجليات وجدنا من المناسب أن نتوقف أمام مصطلح الثقافة قبل رصد تأثيراتها.

مصطلح الثقافة في اللغة العربية: هي الحذق والتمكن، و(المثاقفة) أي الملاعبة بالسيف، وتقف الرمح أي قومه وسواه، ويستعار بها للبشر فيكون الشخص مهذباً ومتعلماً ومتمكناً من العلوم والفنون والآداب، ومصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات استخداماً في الحياة العربية، وبالتالي فهو من أكثر المصطلحات صعوبة على التعريف؛ ففي حين يشير المصدر اللغوي والمفهوم المتبادر للذهن والمنتشر بين الناس إلى حالة الفرد العلمية الرفيعة المستوى، فإن استخدام هذا المصطلح كمقابل لمصطلح (Culture) في اللغات الأوروبية تجعله يقابل حالة

اجتماعية شعبية أكثر منها حالة فردية، فوفق المعنى الغربي للثقافة: تكون الثقافة مجموعة العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري، بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته وعمرانه. والتأثيرات الثقافية في أيّ مجتمع تعدّ من أهمّ نواتج العلاقات (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية) بين المجتمعات، وتعدّ التأثيرات الثقافية بين الهند وعمان من أبرز الأمثلة على ذلك.

بعض من تجليات اللغة الهندية على اللغة العمانية:

كان من الطبيعي بعد هذا التواجد الهندي في عمان لفترات طويلة، وبعد الاحتكاك اليومي بين الجماعات الهندية الوافدة والسكان الأصليين أن تتأثر بعض مظاهر الحياة بهذا الوجود، وكانت اللغة - لغة الحياة اليومية- من أبرز تلك الأمور، التي بدا فيها بوضوح التأثير الهندي، حيث دخلت مفردات اللغات الهندية إلى لهجة أهل عمان.

وفي نفس الوقت تأثرت اللغة الهندية في المناطق الساحلية والمدن الكبرى أكثر منه في الداخل، ويرجع ذلك للصلات التاريخية بين الهند وعمان منذ أقدم العصور وخاصة تلك الصلات ربطت بين الطبقة التجارية وبين المناطق التي سكنتها الجاليات الهندية في مسقط، فبناء على الاحتكاك التجاري نتج احتكاك آخر، إذ حدث تبادل لغوي- إذا جاز لنا التعبير، فتجار عمان الذين قاموا بزيارات منتظمة إلى "بومباي" قد عرفوا كلمات هندية نتيجة احتكاكهم بالمجتمع الهندي، حيث استخدم هؤلاء كلمات هندية لقضاء أمورهم، وإنجاز معاملاتهم التجارية، لأنهم في كثير من الأحيان لم يجدوا لها مقابلاً في لغة التعامل مع الجالية الهندية المقيمة في مسقط، الأمر الذي دفعهم إلى استخدام الكلمات الدالة على تلك الاحتياجات مثل "سبتيال" بمعنى "مستشفى" و"الترام" بمعنى "القطار"، و"ريس" بمعنى "سباق الخيل" الذي كان يقبل عليه العمانيون أثناء تواجدهم في بومباي.

علاوة على أن لغة الهنود في بلادهم الأصلية قد تأثرت بمصطلحات أجنبية من اللغة الإنجليزية- بحكم الاستعمار البريطاني للهند- وقد نقل الهنود هذا التأثير معهم في هجراتهم إلى عمان، حيث أصبحت لغة التداول والتعامل اليومي بين الجاليات الهندية على اختلاف أنواعها، وبين السكان الأصليين.

ومع مرور الوقت أصبحت لغة التداول والتعامل بين أهل البلاد أنفسهم مثل كلمة "Seat" بمعنى مقعد، و"Light" بمعنى ضوء، وليس بمعنى رخصة قيادة. علاوة على كلمات فارسية الأصل نقلتها الجاليات الهندية التي استوطنت عمان، وتأثرت بها اللهجة العمانية، بل وأصبحت من مفردات أفرادها اليومية مثل "استكانة الشاء" والتي تطلق على "كوب الشاء" المصنوع من الزجاج، و"بشكار" بمعنى الخادم؛ بل والأكثر من ذلك أن اللغة العربية بشكل عام قد تأثرت باللغة الهندية، فكلمة البارجة أي البواخر الحربية- والموز، والصنديل، كلها كلمات هندية الأصل¹

ويبدو التأثير الهندي فيما يخص النواحي اللغوية، كلما حدث اتصال هندي بوجه من وجوه الحياة في عمان، فكلما زاد الاحتكاك والاتصال زاد التأثير في استخدام مفردات من لغتهم مثلما حدث في تجارة اللؤلؤ، حيث لوحظ أن العمانيين استخدموا كلمات من أصل هندي.

جدول يوضح تأثير اللغات الهندية على وجوه الحياة العمانية فيما يخص النواحي التجارية²

الكلمة الهندية المستخدمة	معناها	نواحي أوجه استخدامها	ملاحظات
دانة Danna	اللؤلؤة المنيرة الغالية جداً	صيد اللؤلؤ	
جيوان Jiwan	اللؤلؤة المستديرة البيضاء	صيد اللؤلؤ	
البوكا Buka	لؤلؤة صغيرة رخيصة	صيد اللؤلؤ	
السنقباس Sinkpsy	لون لؤلؤ يشد فيه الأزرق ويميل إلى الرمادي	وزن اللؤلؤ	لفظ هندي يستخدم لدلالته على لون
التشا أو الجو Joe	الوحدة المستعملة	لبيع اللؤلؤ	

¹ آثار العمالة الأجنبية على الثقافة العربية، ص ١٢

² المصدر نفسه، ص ١٣

		للتداول	
	المعاملات التجارية	وحدة وزن اللؤلؤ	بالراتي Plarate
المن يساوي ٥٧٠٦ رطل إنجليزي	المعاملات التجارية	وحدة وزن البضائع	المن Mnn
عملة الهند	المعاملات التجارية	العملة الهندية	روبية "رانة"
	المعاملات التجارية	عملة نحاسية	بيزان

وفيما يلي جدول يوضح تأثير اللغات الهندية على وجوه الحياة العمانية فيما يخص النواحي الملاحية^١

الكلمة الهندية المستخدمة	معناها	نواحي أوجه استخدامها	ملاحظات
بلم	القارب	فنون الملاحة	
هوري	مركب صغير	فنون الملاحة	
كوتيه	سفينة خشبية	فنون الملاحة	
براونة	مروحة المركب	فنون الملاحة	
كولي	الحمال	فنون الملاحة	
التنديل	الشخص المسئول عن العمال	فنون الملاحة	

وفيما يلي جدول يوضح التأثير على النواحي الحياتية داخل المنازل العمانية^٢:

اللفظ الهندي	استخدامه في اللغة العربية	ملاحظات
تبكه	مروحة الهواء	داخل المنازل العمانية
تاوه	آنية عمل الخبز	
موري	حوض غسيل اليد	
بنات	مفاصل الباب	
وتيه	ورقة	مشتقة من الكلمة الهندية

^١ تاريخ صناعة السفن، ص ٣٦٨، ومعجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات والساحل العماني، ص ١٢-١٧،
والعرب في بومباي، مجلة البعثة، ص ٢٩

^٢ جولة في الخليج العربي، ص ١٧

		"بته" بمعنى رزمة ورق
جوبت	مسحوق الزهرة	يستخدم لتزهير الملابس
أوتي — إستري	المكواة	
كمجه	ملعقة	محرفة عن الكلمة الهندية جمجمة
سامان	أثاث	
تجوري	الصندوق الخشبي	
كجره	القمامة	
استكنة	كوب الشاي الزجاجي	من أصل فارسي
سيدا	اتبع الطريق المستقيم	عند السؤال عن الطرق "اتجاهات"
سم سم	نعم	في الحياة اليومية

وبتحليل ما جاء في الجداول من معلومات يتضح ما يلي:

- المصطلحات التي استخدمت في عمان خاصة وفي الخليج العربي بشكل عام في صيد وتجارة اللؤلؤ كلها ألفاظ ذات أصل هندي.
- الأوزان التي استخدمت في وزن حبات اللؤلؤ كانت أوزان هندية مخصوصة لهذا الغرض.
- عملة التداول فيما يخص تجارة اللؤلؤ كانت العملة الهندية.
- مثلث التجارة الملاحية قاسماً مشتركاً بين الهند وعمان، وكانت من أيسر الأمور التي اتضح من خلالها التأثير الحضاري المتبادل بين البلدين.
- لقد كان العمانيون منذ القدم "رواد البحر" وكانت لهم ريادة عربية وسيطرة قديمة على التجارة الملاحية وركوب البحر، وكانت الهند الشريك الأول في هذا لإنجاز تلك الريادة العمانية.
- تأثرت اللغة العربية بالمصطلحات الهندية الخاصة بالملاحة وأنواع السفن العاملين عليها.

وقد لوحظ أيضاً أن التأثيرات اللغوية الهندية لم تقف فقط عند النواحي الاقتصادية والملاحية؛ بل تطرقت تلك التأثيرات أيضاً إلى النواحي الحياتية، فقد انتشر

كثير من الكلمات الهندية داخل المنازل العربية في عمان، واستخدمها العمانيون في حياتهم العادية اليومية.

وعلى الجانب الآخر نجد أن هناك ثمة تأثيرات للغة العربية على اللغات الهندية، وليس أدلّ على حدوث تأثير حضاري في اللغة بين الجانب العربي العماني والهند أكثر من كتاب الشيخ المقدس "جورو جرننت صاحب" كمثال حي على تأثير اللغة العربية على الثقافة الهندية، حيث وجد به حوالي ١٣٤٣ كلمة عربية، وقد تضمنت الورقة بعضاً من هذه الكلمات التي تسلط الضوء على التفاهم اللغوي الثقافي بين الهند وعمان^١.

^١ جدول يوضح تأثير اللغة العربية على لغات الهند:

ملاحظات	معنى الكلمة	اللفظ الأصلي للكلمة باللغة العربية	الكلمة العربية بالطريق التي وردت في كتاب الشيخ المقدس
	الرحمن	رحمن	RAHMAN
	الرحيم	رحيم	RAHIM
	الرسول	رسول	RASULEY
	شهر الصيام	رمضان	RAAMJANA
		رمضان	RAMADANA
	المنزه	سبحان	SUBHAN
	السجدة	سجدة	SAJDA
	التحية	سلام	SALAM
	الشريعة الاسلامية	شرع	SARA
	المرشد	شيخ	SHAIKH
	الذي ينتمي إلى الطريقة	صابري	SABRI
	الصابرية	صوفية	SOPHIA
	جمع الصوفى	فقر	PHAKRU
	الفقر، الزهد، الزاهد	فقير	PHAKIRA
	الزاهد	قادر	KADIR
	القدير	كريم	KARIM
	الكريم	مسلم	MUSLIM
	المسلم	مسلمان	MUSLMAN
		مسلمانى	MUSLMANI
	جمع الشيخ	مشائخ	MASA'IK
	المعرفة	معرفة	MARPHART
	اسم للنبي	موسى	MUSA
	لقب العلماء	مولانا	MOLANA
	النعم	نعمة	NIYAMAT

(أ) التأثيرات الهندية العمانية المتبادلة في الأدب

أولاً: تجليات الشعر الهندي على نظيره العماني:

على أي حال كان لا بد من إعطاء لمحة عن الشعر الهندي مقوماته وتأثيره الحضاري، حيث يعد القرن العشرون مرحلة انتقال عظيمة الأهمية بالنسبة للهند العصرية، وفيه نهضت الهند نهضتين: نهضة سياسية وأخرى علمية وأدبية، وقد سارت النهضة العلمية الأدبية بخطوات بطيئة، احتلّ فيها الشعر مكانة عظيمة في النهضة الأدبية، وأشهر شعراء الهند وفلاسفتهم في هذا العهد المصلح الكبير "رابندراناث طاغور"^١ والذي كان شعره يحمل النزعة الدينية والاجتماعية، ظهر شعراء عرفت قصائدهم الشعرية بالشعر الحماسي ومنهم الشاعر "نيرالا" ومن أهم أعماله قصيدة "السيل"^٢

والجدير بالذكر أن الشعر في الهند قد تأثر بالاستعمار البريطاني للبلاد، حيث ظهر مجموعة من الشعراء يكتبون شعرهم باللغة الإنجليزية، مثال الشاعرة: (ساروجيني نايدو)، وكان لمجهوداتها أثر كبير في رفع مستوى الفتاة الهندية^٣.
على أي حال لا خلاف على أن كل أدب من آداب الدنيا يمتاز بنزعات وخصائص تعطيها شخصيته المميزة والتي تميزه عن غيره من الآداب الأخرى،

للمزيد حول ما جاء في الجدول من معلومات راجع: أحمد الفاروقي: المرشد نانك في المنظور الإسلامي، مقال منشور في مجلة ثقافة الهند، ١٩٩٢م، ص ٨١-٨٣

^١ ومن نماذج شعره الذي يفيض بالعشق الإلهي:
حقاً إن فرحتي لغامرة فقد هبطت إليّ من عليائك يا ملك السموات!
أين يكون حبك إذا لم أكن أنا موضع ذلك الحب. لقد أشركتني في كل هذا الملكوت حقاً إنك ملك الملوك وقد نشرت كل هذا الجمال والبهاء لكي تأسر فؤادي
وهل لهذا يملأ حبك شفاف قلبي وحنايا وجداني

^٢ نيرالا: هو الشاعر "كيرال نيرالا" ولد سنة ١٨٩٦م، ولعب بباعث مجد الهند القديم، ومن أهم أشعاره:

إيه أيها السيل العرم يا من لا تصده قوة علي وجه الأرض

أنت اليوم تكتسح لكل ما يعترضك من عقبات

وأنت اليوم تحرّر الروح الثائرة ولا أحزان ولا دموع بعد اليوم

لقد مسح الليل كل شئ فلنقف الدنيا وليشهد العالم

علاوة على باقي أشعاره التي أثرت في إشعال روح الحماسة ضد الاستعمار مثل قصيدة جاء فيها بيت شعر كان له تأثير حماسي قوي: "هبوا هبوا يا نيام... أشرق في الكون أضواء الفجر". للمزيد يمكن الرجوع إلي:

الهند وتاريخها، ص. ١٩

^٣ ساروجيني نايدو: هي شاعرة هندية ولدت في يومئذ سنة ١٨٨٠م، تلقت تعليمها في لندن، وكانت شاعرة ومصلحة اجتماعية، وكانت قائدة لحركة نسوية، حيث كانت رئيسة للمؤتمر النسائي الهندي لتعليم الفتاة عام ١٩٢٥م. راجع: الهند وتاريخها، ص ١٩٠. وثقافة الهند: العدد الأول من المجلد ٢٣. يناير ١٩٧٣م، ص ١٥٧

وخاصة إذا كان ذلك الأدب أصيلاً ونابعاً من جوهر إنساني خصب، والدارس لأدب عمان الحديث بصفة عامة والشعر بصفة خاصة يلمح مجموعة من الخصائص المتلازمة والمتشابهة مع الأدب والشعر الهندي، وخاصة (الشعر الأردوي)، حيث جاء الأدب في كلا البلدين معبراً عن شخصيته الحضارية وعن مناقبهما الخلقية وتطلعاتهما المستقبلية.

وليس معنى ذلك أن هذه الخصائص والنزعات لا توجد في آداب أخرى، فهي موجودة بشكل متفرق في آداب عديدة، ولكن أنصارها معاً جاء واضحاً في الأدب العماني، وملحوظاً في شبيهه من الأدب الهندي.

وإذا أردنا أن نجمل النزعات والخصائص في كلا البلدين وجدنا أن هناك مجموعة من الظواهر الهامة التي من أبرزها:

١. شعور الغربة والحنين إلى الوطن.
 ٢. نزعة التحرر الفكري والتأمل الفلسفي.
 ٣. نزعة الالتزام والمشاركة الاجتماعية.
 ٤. النزعة الإنسانية المتسامحة.
 ٥. الاهتمام بتصوير الأجواء المحلية.
 ٦. التأكيد على النزعة العربية والدينية الراسخة.
- والجدير بالذكر أن هناك عدة عوامل موضوعية تمثلت في المكان والأرض، وعوامل ذاتية في الشعب والأفراد أدت إلى ظهور تلك النزعات في الأدب والشعر العماني - الهندي وتلك العوامل يمكن إجمالها فيما يلي:

١. ان شعب عُمان تجاري بحري ينزع إلى التجارة والحركة والهجرة.
٢. وجود جاليات أجنبية في عمان مثل: الإيرانية، والهندية بصفة خاصة؛ خلق نوعاً من ردة فعل نفسية؛ لذا جاء الشعر والأدب عند تلك الجاليات، وخاصة الجاليات الهندية التي استوطنت عمان، يتميز بشئ من "الغربة".
٣. ارتباط الشعر الحديث في كل من البلدين بالدعوة الإصلاحية والنهوض الثقافي والاجتماعي، ليس من قبيل المصادفة أن نلاحظ أن أوائل الشعر في العصر الحديث كانوا على صلة وثيقة بالحركات الاجتماعية والإصلاحية مثل المصلح السياسي والأديب الهندي (محمد إقبال).

٤. تمثل عمان منطقة جذب لكثير من المؤثرات المتسربة من بعض الهجرات التي أتت إليها من بعض مناطق آسيا وخاصة من الهند، لذلك نجد الأدب فيها يحمل نزعة عربية ودينية راسخة ضد تلك المؤثرات، وعلى الجانب الآخر نجد الأدب والشعر الهندي جاء كذلك نظراً لهجرات عديدة قام بها الهنود خارج وطنهم، فجاء أيضاً أدبهم يحمل نزعة الحفاظ على الهوية ومتضمناً نزعة التمسك بالخصائص والميزات القومية لديهم، حيث يمكننا اعتبار أنه ثمة نوع من "أدب المهجر" قد نشأ في كل من القطرين، الهند وعمان.

٥. غير أن هناك ميزة أخرى ميّزت الأدب العماني عن غيره، فقد جاء الأدب والشعر في عمان خالياً من طابع التعصب، فعلى الرغم من الموقف الحذر للإمامة الإباضية تجاه كل المؤثرات الخارجية؛ إلا أن هذا لم يمنع تسرب وقبول التأثيرات الحضارية والتيارات الفكرية، وكل جديد بغض النظر عن جنسه ومصدره، حيث عكس الأدب العماني خصائص الشخصية العمانية المتقبلة لجميع التأثيرات الحضارية، وخاصة الآتية من المجتمعات الآسيوية.

٦. كما جاء الشعر والأدب معبراً عن طبيعة الشعب، حيث إنه شعب بحري تجاري عربي، أخذ من العروبة روحها السمحة، وأخذ من البحر الثقافة، ومن التجارة مرونتها وذكائها أضف إلى ذلك تعدد العناصر التي سكنت أرضه وتنوع المعتقدات الدينية والآراء الاجتماعية (في نطاق عروبة البلاد وإيمانها الإسلامي) خلق مناخاً يساعد على التحرر الفكري والنظر الفلسفي مبيناً كذلك في الأدب الهندي.

ثانياً: تجليات الهند على الأدب القصصي وأدب الرحلات في عمان:

سوالف البحر العمانية وتأثرها بالأدب الهندي:

لقد كان هناك تأثير حضاري آخر بين عمان والهند فيما يخص الأدب، والذي يتمثل فيما يعرف بـ"سوالف البحر" فلا شك أن العلاقات التجارية القديمة من عمان والهند وخاصة "التجارة الملاحية" حيث مثل البحر ورحلاته التجارية

حلقة وصل بين البلدين، وبقيت الدولة العمانية في مركز الصدارة فيما يخص التجارة البحرية.

ولقد أدى التواصل التجاري هذا وما تبعه من ارتباط سياسي — نظراً لوقوعهما معاً تحت تأثير الأطماع الاستعمارية والسيطرة البريطانية، أن يتبع هذا كله تأثيرات ثقافية.

فالعلاقات التجارية بين عمان والهند، والتي تطلبت السفر بالسفن عبر عباب المحيط لأيام وربما لشهور لنقل بضائعهم على سفن الأسطول العماني الضخم، تلك السفن التي مثلت هي الأخرى مظهر من مظاهر التأثير الحضاري بين البلدين، والتي لم تكن تحمل البضائع فحسب بل نقلت أيضاً المشاهدات والعادات والتقاليد والأفكار. ولقد مثل أدب الحكايات البحرية والذي يعرف بـ "سوالف البحر" أحد أهم ركائز الأدب العماني في تلك الفترة، أقصد أحد روافد الأدب العماني الذي اتضح فيه التأثير العماني بالحكايات الهندية وما تحويها من خيال وسحر وتشويق، فجاءت سوالف البحر تحفل برواية أحداث ومغامرات وغرائب تجعل السامع لها يفترض أنها من وحي الخيال فقط، ولكنها جاءت خليط ما بين الواقع في الحياة وعالم الخيال، فنجدها مليئة بحكايات عن الغواصين "غواصي اللؤلؤ" وحكايتهم مع البحر، وحكاية عن "الرجرجور العنيد" ومغامرات الملاحين والبحارة معه¹

وكانت تلك السوالف دائماً ما تقدم في نهاية الحكاية عبرة وعظة أخلاقية أو دينية مثلما كانت القصص والحكايات الهندية عن الآلهة وصراعها وانتصار الخير دائماً على الشر، وقصص الوفاء خاصة بين الزوجة وزوجها، التي كان يحفل بها الأدب الهندي البراهمي.²

¹ جرجور البحر: هي نوع من أنواع سمك القرش الذي ورد ذكره في الروايات العمانية كثيراً، فقد ذكرت إحدى السوالف ما حدث لأحد نواخذة البحر أثناء عودته إلى السفينة عندما نزل يقتلع إحدى المحار من قاع البحر، وبعد أن نجح في اقتلاعها حدث أثناء عودته إلى السفينة أن أحس بسمكة "القرش" قد ابتلعت نصفه الأسفل وقضمت عليه بأنيابها، فتمالك نفسه وسكن في مكانه وألقى إليه من السفينة بخشبة أمسك بها جيداً وطلب من رفاقه ألا يسحبوه، وبعد فترة تخلت السمكة عنه بعد أن رأت يقع الدم في الماء، فتركته بحثاً عن ذلك، وقام رفاقه بسحبته بعد أن مزقت السمكة لحم فخذيه. سوالف البحر، كتاب العربي، العدد الخامس، نوفمبر، ١٩٧٤ م، ص ٧٨

² تمثل قصة "سافترى" الأميرة البراهمية الرائعة الجمال ووفائها لزوجها "ساتيا فان" تمثل ركيزة قصص الوفاء الزوجية التي تتمر حولها الحكايات الهندية من هذا النوع، والتي تبدأ بقصة حب بين "سافترى" و"ساتيا فان" التي قال لها المنجمون إنه لن يعيش إلا لعام وبعد زواجها، وفي آخر يوم في العام ظهر لهن "ياما" إله الموت وقال لهما إنه قد حضر بنفسه ليقبض روح زوجها، فصرخت وقالت له إنها لا تستطيع مفارقة زوجها، وعليه أن يأخذ روحها أيضاً. للمزيد راجع: تاريخ الهند، ص ٤٧

ولا شك أن الاعتقاد بـ"المس الشيطاني" وحكايات السحر ما هو إلا نتاج التأثير الحضاري الناتج عن الاتصال العماني بالأدب الهندي وحكاياته المليئة بمثل هذا النوع من الأدب، فقد كانت قصص طرد "الأرواح الشريرة" قاسماً مشتركاً بين الهنود والعُمانيين، حيث كان الهنود من جماعة "البهرا" التي سكنت عمان وخاصة مناطق الجبال التي اتخذوا منها نصباً أو تشكيلات صخرية تمثل الشيطان وترجم بالحجارة.

وقد بقي هذا التقليد تراثاً عمانيّاً حتى الآن، وأصبح هناك اعتقاد سائد في منطقة "بهلا" أن هناك ساحرة شريرة ما تزال تسكن جبل "خميلة" عن أحد المعابد الهندوسية القديمة وتعطي الأمهات لأطفالهن كميات قليلة في الزئبق حماية لهم من كيد الساحرة^١.

وهناك تأثير على الأدب العماني، ولا بد من الإشارة إليه وهو ما يعرف بأدب الاعترافات أو المذكرات، حيث شهد الأدب الهندي ظهور مثل هذا النوع من الأدب (المذكرات) ولكنه جاء يميل إلى السياسة أكثر منها إلى المجتمع و فئاته وأحداثه، وخير مثال على ذلك "مذكرات غاندي" وخطابات "جواهر لال نهرو"^٢ وعلى الرغم إن هذا النوع لم يكن أدباً شائعاً في آدابنا العربية لأن التقاليد تحد من الجرأة والصراحة اللتين يتطلبهما مثل هذه الاعترافات أو (المذكرات) إلا أن الأدب الهندي تجلّى على نظيره العماني في تلك الفترة الباكراً - النصف الأول من القرن العشرين - وأدّى إلى ظهور مثل هذا النوع الذي جاءت فيه "مذكرات أميرة عربية" لإميلي روث^٣

وفي النهاية لا بد أن نشير إلى أن تشابه الأساطير والملامح والقصص الشعبي ليس معناه بالضرورة أن أحدها منقول عن الآخر، ذلك لأن تشابه الظروف

^١ المنتدى الأدبي : قرأت في القصة العمانية المعاصرة، ص ٥.

^٢ رسائل نهرو: جواهر لال نهرو، ولد في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩م في مدينة "الله أباد". انتخب رئيساً لحزب المؤتمر الهندي الوطني عدة مرات، وقد كتب مجموعة من الرسائل التي كانت تعبر عن حوادث تاريخية هامة. بل وتطرق إلى الأسباب التي تكمن وراء الأحداث فجاءت في شكل قصصي ممتع في كتاب يحل اسم "المحات في تاريخ العالم".

^٣ إميلي روث: هي السيدة (صالحة بنت سعيد بن سلطان) سلطان عمان وزنجبار (١٨٠٤-١٨٥٦م)، وهو حفيد الإمام (أحمد بن سعيد) مؤسس الدولة البوسعيدية، وقد جاءت مذكراتها بعنوان "مذكرات أميرة عربية" والتي كتبت بالألمانية وترجمها عبد المجيد حبيب القيسي ونشرتها وزارة التراث القومي والثقافة عام ١٩٨٣م والمذكرات عبارة عن مجموعة من الأحداث السياسية والاجتماعية وتوضح مدى التأثيرات الحضارية للدولة العمانية في زنجبار.

والاتصال الثقافي بين المجتمعين وإن كانا مختلفين دينياً ولغوياً¹ إلا أن مثل هذا الاتصال قد يؤدي إلى تشابه الأفكار وهذا ما نراه بَيِّناً في تجليات متبادلة بين الحضارة الهندية ونظيرتها العمانية.

(ب) التأثيرات الحضارية المتبادلة في الفنون والعمارة

أولاً: التجليات الهندية على الفنون الشعبية:

تعد الفنون الشعبية نتاجاً لإرهاصات التفاعل بين الأفراد والجماعات والبيئة المحيطة بهم خلال الحقب الزمنية المتوالية، لذا لا نستطيع أن نعرف من الفاعل أو المبدع الحقيقي لتلك الفنون الشعبية، وتزخر سلطنة عمان بإرث تقليدي متنوع، تشكل الموسيقى التقليدية جزءاً لا يتجزأ منه، وترتبط الموسيقى التقليدية العمانية ارتباطاً وثيقاً بالنسيج الاجتماعي والممارسة اليومية، تترجم أحاسيسه وانفعالاته¹ ويمثل الرقص والموسيقى أهمية كبيرة في ثقافة الهند، فهما من أقدم الفنون، ومرتبطة معاً بنفس درجة ارتباطهما بالدين الهندوسي والأدب وفن المسرح، وقد كان تعلم هذين الفنين وعرضهما مقصورين على البلاط الملكي والمعابد ومنازل أثرياء الشعب، وفي القرن العشرين الميلادي ازدهر الرقص وصار الملايين من الناس يستمتعون بتعلم الرقص الكلاسيكي والموسيقى وتطورت أشكال الرقص والموسيقى الشعبية، كما ظهرت لكل إقليم بالهند تقاليد عريقة للرقص والموسيقى الشعبية.

وخلال القرنين التاسع عشر والعشرين اقتبست الموسيقى الهندية بعض الخصائص، وخصوصاً في مجال استعمال الآلات الموسيقية، مثل الكمان والأرغون وترجع الموسيقى الهندية إلى أحد أصليين، الموسيقى "الهندوستانية" التي نمت في شمالي الهند، وتأثرت بالأشكال الموسيقية لإيران والجزيرة العربية وآسيا الوسطى، وتلك التي أثرت على موسيقى عمان.

تعد الموسيقى الشعبية إحدى روافد الفنون الشعبية بما تشمله من إيقاعات وأغانٍ ورقصات تعبر عن الواقع والأصالة العمانية، وقد كان الوجود الهندي في عمان ذا أثر واضح على تلك الفنون وخاصة الموسيقى والرقص الشعبي؛ نتيجة لما حمله أبناء الهند معهم في رحلاتهم من الهند إلى ضفاف الخليج العربي عبر الحقب

¹ وزارة التراث القومي: من النماذج الموروثة للفنون الشعبية العمانية، سلسلة الفنون الشعبية، ٩٣/١

الزمنية المتعاقبة، حتى منتصف القرن العشرين، وكما ثبت لنا من قبل أن الجاليات الهندية على فنون المجتمع العماني، ولاسيما الموسيقى والرقص الشعبي، لما هو معروف عن الهنود من حبهم للموسيقى والرقص^١.

ومن المؤثرات الهندية على المجتمع العماني في تلك الناحية إنشاء فرق فنية للنساء، حيث اعتمدت تلك الفرق على العنصر "النسائي" وكان أغلبهن من الهنود المستوطنين في عمان من أزمنة بعيدة، لما كان يعرف عن المجتمع العماني من تحفظه على المرأة، وخاصة في تلك الفترة الزمنية الباكورة من القرن العشرين ولقد تنوعت روافد الفن الشعبي العماني، ولكن سوف نحاول أن نستعرض فقط الفنون التي اتضح فيها التأثير الحضاري بالفنون الشعبية الهندية.

فرق فنون النساء أو ما يعرف اصطلاح باسم فرق طبل النساء (الدان دان)^٢ وتتكون كل واحدة من هذه الفرق من مجموعة من النساء تقوم بالغناء والرقص بمصاحبة تصفيق يؤديه أفرادها أو بمصاحبة طبل يقرعه نساء من أعضاء الفرقة، وقد تكون الفرقة في بعض الأحيان من مجموعة من النساء يعاونهن عدد قليل من الرجال يقومون بضرب الطبول، ويشاركون أحياناً من مجموعة من النساء يعاونهن عدد قليل من الرجال يقومون بضرب الطبول، و يشاركون أحياناً في الغناء والمعلوم أن تلك الفرق تؤدي أعمالها في المناسبات الاجتماعية السعيدة مثل: الخطوبة، والأعراس، والختان، والاحتفالات القومية والأعياد، ولفرق النساء أنماط عديدة من الفنون التي يحترفون أدائها، لكن تبرز تلك الفرق في فنون مثل الدان دان وتشح تشح - وأم بوم، وسرى الليل - الويلية^٣.

^١ سعود سالم العنسي: العادات العمانية، ص ١٨٥

^٢ الدان دان: من فنون السمر والتسلية، يطلق عليه أيضاً اسم "الكواسه" ويمارس فن الدان دان في مناسبات الأعراس وحفلات الزواج، وتكون المشاركات من النساء في صفين متقابلين متوازيين على نمط التكوين في فن الرزحة يتحرك بين هذين الصفين ثلاثة أو أكثر من ضاربي آلات الإيقاع، تبدأ الحركة بتحريك الصف المقابل للصف الذي بدأت من "شلة الغناء" إلى الأمام خطوة بالقدم اليمنى، وتصفيق بالكف، ثم خطوة بالقدم اليسرى، وتكرر الحركة تباعاً حتى يصل الصف المقابل، ثم يعود أفرادها ليبدأ الصف الآخر نفس تلك الحركة ويصاحب تلك الحركات الراقصة أغاني سفرية مثل: (أول بدوتي أنا قيام يغني دان - يقولون أبو زيد قلت ذياب في الميدان - أنوي بسيفي وأقطع رؤوس العيدان). للمزيد يمكن الرجوع إلى: من فنون عمان التقليدي، ص ١٠٩-١١٢

^٣ تشح تشح: يعد من أهم فنون النساء في عمان وخاصة منطقة الباطنة- سكن الخوجة الهنود - وكان قديماً يؤدي دون أن يصاحبه آلات ولكنه بعد ذلك أدخل عليه بعض ضربات الطبول، إضافة للدقوف ذات الجالجل ولكن بقي الرتم حزيناً، وهو نوعان تشح تشح الجالس، وفيه تجلس النساء في دائرة على الأرض يتوسطها المغنية،

ويجب الإشارة إلى أن هناك عدداً من الولايات التي تخلو من مثل تلك الفرق، حيث تتركز فرق النساء على الساحل وفي منطقة الباطنة، حيث تتوافد الجاليات الهندية، في حين تخلو المنطقة الداخلية من تواجد لمثل تلك الفرق. كما تختص تلك الفرق بأداء الفنون الآسيوية-الهندية-العمانية أو التي تقام في المناسبات الاجتماعية كالخطبة والزواج، والختان، وتتكون فرق البلوش من الرجال والنساء في خليط مزدوج يغنون ويرقصون بمصاحبة الطبل والزممر. وما توارثه من أنماط فنية وفدت من آسيا، وخاصة "شبه القارة الهندية" فيما مضى من زمان، ثم أصبحت عنصراً أساسياً من مكونات الفنون التقليدية العمانية، وفي هذه الفنون "الكوزاك" و"الكوتزاك" و"لي لارو" فضلاً على فرق "البلوش" للفنون التقليدية العمانية التي تتركز في الجانب الشمالي من الباطنة وعلى الأخص "صحار" وتشيع في غناء هذه الفرق ألفاظ كثيرة من لغة البلوش إضافة إلى فرق البلوش توجد "فرقة أبناء العجم" والتي تعد واحدة من أهم الفرق التي تحمل الصبغة الهندية الشعبية في عمان، وفرقة أبناء العجم تتمركز في "صحار" وتختص باثنتين من الأنماط النادرة في الغناء والرقص التقليدي الهندي-العماني وهي "الباكث" و"السيروان"^٢

علاوة على نموذج آخر للتأثير الهندي والمتمثل في فنون "البحر الشوبانية" هو مجموعة من أشكال الغناء والتي يختص كل منها بواحد من الأعمال التي يمارسها البحارة عند إعداد السفينة للإبحار، أو أثناء إبحارها، وعند عودتها من السفر، ولكل شكل من هذه الأشكال "شعر وغناء" يختص به ويتلاءم في معناه وفي إيقاع أدائه مع الغرض منه، والعمل الذي يقوم به البحارة ويصحب هذا الغناء

ولا يصاحب هذا النوع رقص ويعرف الدان دان "دان الرجال" في ولايتي لوي وشناص باسم الولاية، أنظر: سلسلة الفنون الشعبية، ١٠٥/٤

^١ "لارو" اختصار لتعبير "لي لارو"، وهي عبارة عن ترنيمة تستخدم في تنعيم الغناء تمهيداً للرقص ويكون الغناء باللهجة البلوشية. يمكن الرجوع إلى: آلات موسيقى عمان التقليدية، ص ٤٧.

^٢ الباكث: يعد من الفنون التمثيلية التي تختص به قبيلة العجم وهو صورة مبسطة للصراع بين الخير والشر، وبين الإنسان والحيوان، وتبدأ بتمثل دائرة يتصدرها العقيد وضاربوا الآلات، ويبدأ بالغناء على إيقاع، ولكنه بلغة منهجية بين العربية الدارجة ولهجات البلوش المختلفة. أما السيروان فهو من الفنون الآسيوية الوافدة، وهو فن من الغناء الجماعي على أنغام آلات الإيقاع من الطبل العماني والمميز لهذا الفن التصفيق عند الوقوف وراء المغني "العقيد". يمكن الرجوع إلى: سلسلة الفنون الشعبية، ٣٥/٣

مجموعة الطبول والتصفيق وتعد الشوبانية من فنون أهل البحر، حيث حملها الهنود إلى منطقة عمان.

والمعلوم أن فنون البحر "الشوبانية" ينطوي تحتها العديد من ألوان الفنون البحرية الأخرى، والتي هي ميراث ونتاج للاتصال البحري بين عمان والهند بصفة خاصة. حيث كانت معظم رحلات البحارة العمانيين من وإلى الهند، لذا يتضح التأثير (الهندوعماني) في الفنون الشعبية الخاصة بفنون البحر. وأهم تلك الفنون كما يلي:¹

١. صوت البحر: هو ما يعرف أيضاً بالصوت البحري، وهو عبارة عن صيحات، وهذه الصيحات هي أصوات الرجال على ظهر السفينة بلغات مختلفة منها العربية والهندية.

٢. مسيرة الشوباني: هو المسيرة الغنائية التي تضرب فيها الطبول وينفخ فيها زمر من النوع الهندي.

٣. المديمة: عبارة عن حركات راقصة وقفزات سريعة وهي فن استعراض البحارة لمهارتهم في أدائه، وتعد من الفنون الدقيقة، والتقاليد المتوارثة، وتتم على ظهر الخشب.

٤. غناء البحر: فهو مجموع أشكال الغناء التي يمارسها البحارة ومنها (شلة النزول - جرة الماشوي)²

ثانياً: التحليات الهندية على الآلات الموسيقية التقليدية:

لقد جلبت الهجرات التقليدية من الهند إلى عمان منذ أقدم العصور: العديد من آلات الموسيقى، والتي تستعملها فرق الفنون الشعبية العمانية، حيث يكون الغناء والرقص مصاحباً للعديد من الآلات الموسيقية يأتي على رأسها "المزمار الهندي" وهو مزمار ذو بوق وريشة مزدوجة، حمله العمانيون الأوائل من رحلاتهم إلى الهند.

¹ مناهج توثيق الفن الشعبي الدولة المارات والخليج العربي، ١١١/٣ والفنون التقليدية، ص ١٢٨

² الصدفة البحرية التي تعرف باسم "اليم" هي واحدة من أجناس الأصداف البحرية المنتشرة في عمان ومنها:

Linatella clandestina yamatium Ranzani- strombusoldi Ranularia obesus
Distrisioreticulata

للمزيد يمكن الجوع إلى: Oman، Seashell، Donald Beach، ص ٢٢
انظر الملاحق: ملحق لصورة توضح نماذج لبعض آلات عمان الموسيقية

وكذلك الصدف البحرية والتي تعرف باسم "اليم، أو الجم"، والتي تنتمي إلى واحدة من أجناس أصداف المحيط الهندي إضافة إلى بعض الآلات المصنوعة من المعدن وأشهرها الخرخاشة، والطاسة، والصنوج، ولكن تبقى الطبول من أكثر وأشهر الآلات العمانية، والتي تصنع أغليبيتها من خشب هندي¹

ثالثاً: التجليات الهندية على الفنون المعمارية:

ويطلق مصطلح الفن الهندي على فنون شبه الجزيرة كلها التي تشمل: الهند وباكستان، وبنجلاديش، ورغم أن هذه المنطقة قد قسمت تقسيمات مختلفة بعد عام ١٩٤٧م، إلا أن فنونها قد اتصفت بالوحدة والتشابه^٢.

والمأمل في الطراز المعماري العماني-الهندي إبان تلك الفترة يجد أن هناك ثمة تشابهاً بين الطرازات المعمارية العمانية والهندية فتاريخ عمان المعماري في أجر الطين والنقوش المجصصة وحجارة معمارها الدفاعي (القلاع والحصون وأبراج المراقبة)

إن هذه المباني التاريخية الضخمة بجانب توفيرها للحماية لعبت دوراً حيوياً في التعريف بتاريخ عمان كونها تقف كنقاط التقاء للتفاعل السياسي والاجتماعي والديني، وكمرکز للعلم والإدارة والأنشطة الاجتماعية. غالباً ما تكون متكاملة مع أسواق تضح بالحيوية والحركة ومساجد وأحياء حرفية وسكنية جذابة والتي توفر لزائر اليوم فرصة فريدة لتجربة ومعايشة التاريخ.

وتعود أسس الكثير من البيوت إلى قرون خلت، بينما نشأت العديد من المباني حديثاً إلا أن المباني القديمة بما ضمته من زخارف الجص المعروش وأشغال

¹ تصنع الطبول من أنواع متعددة من الأخشاب منها ما هو محلي، منها ما يوجد في غرب آسيا أو إفريقيا، وأكثر أنواع الأخشاب استخداماً في صناعة الطبول خشب مستورد من الهند، وأهم أنواعه خشب بيزام "الجوز" خشب الوقم - خشب مانتيه- خشب النفس خشب الساج .. أما حديثاً فقد يكون الطبل مصنوعاً من أسطوانة معدنية كانت في الأصل وعاء لنقل البترول، أو قد يصنع من البلاستيك، أما الجلد فهو في الغالب جلد المعاز أو الخروف، وقليل يكسي بجلد الجمل. للمزيد يمكن الرجوع إلى: موسقى عمان، ص ٣٦ والفنون التقليدية، ص ٤٩.

² الفن الهندي مصطلح يطلق على فنون شبه جزيرة الهند، وتعد بلاد الهند من أغنى بلاد العالم في مجال الفن، ولها فن قديم عمره أكثر من ٤٠٠٠ سنة، ويشمل مجسمات تتسم بالحيوية، كما يشمل لوحات ممتازة، ومباني كاملة منحوتة من الصخر، إضافة إلى مسجد جميلة التكوين، وقصور ومعابد مختلفة، وكلها مزخرفة غاية في الدقة والجمال ويطلق مصطلح الفن الهندي على فنون شبه الجزيرة كلها، التي تشمل: الهند، India Art and Culture، ١٣٠٠-١٩٠٠، ص ٤٤

الخشب والنقوش المعمارية الهادفة للحصول على أعظم الفوائد من النسيم في أيام الحر القائط ما تزال صامدة، ويختلف طراز البيوت في الشمال عنها في الجنوب، ويختلف طراز المباني المعمارية في الداخل عنه في الساحل ففي الساحل جاءت معظم المباني تحمل الطابع الهندي ويمكن إرجاع ذلك إلى عاملين أساسيين: الأول: إن معظم الجماعات الهندية المهاجرة استقرت في الساحل بجانب مقر الحاكم كما سبق وإن أوضحنا الأسباب.

والثاني: إن معظم تلك المباني إما قلاع وحصون حملت الطابع الإسلامي البرتغالي أو بيوت الأغنياء من التجار الذين عملوا كوسطاء تجاريين بين الهند وعمان.

ويتضح التأثير الحضاري بين الفن المعماري الهندي ونظيره من الفن المعماري العماني في الحصون والقلاع والبيوت والمساجد، ولا يمكن إنكار أن هذا الفن المعماري الهندي في الأصل قد تأثر بالطابع الإسلامي وخاصة المغولي منه لذا لا نجد غرابة في أن يحمل التجار الهنود معهم هذا التأثير ليصبغ المعمار العماني في تلك الفترة التي أعقبت طرد البرتغاليين من "مسقط".

ومن الملاحظ أن التأثير بالفن الهندي وخاصة الطراز المغولي يتضح في سقف قاعات الاستقبال وخاصة في "قلعة جبرين" والذي يصور لنا مدى ما وصلت إليه صناعة طلاء الأسقف في عمان ومدى تأثرها بالفن الهندي في الأقواس والأزهار الجميلة¹

ولقد تأثر الفن الهندي عندما دخل الإسلام شمالي الهند، وبدأ الحكام المسلمون يشيّدون مساجد جميلة وقصوراً وقباباً، وشجعوا العلم، فظهرت الكتب المزينة بالرسوم، ثم حدثت نقلة أخرى لهذا الفن، وذلك عندما تأثر بالفنون الأوربية منذ القرن السادس عشر الميلادي، وعرف الفنانون طرق التظليل، ولما جاء المستعمرون الإنجليز إلى الهند، شيّدوا مبانيهم الرسمية ومساكنهم على الطرز الأوربية، وأثر هذا في الطراز المعماري التقليدي، وأصبح المعمار يون

¹ احتل الإنجليز الهند عام ١٧٥٧م، واستمر احتلالهم لها حتى عام ١٩٤٧م، فكان طبيعياً أن يتأثر الفن الهندي بالفن الأوربي خلال هذه الفترة، وجذبت الأساليب التشكيلية الغربية عدداً من الفنانين المحدثين بالهند، فتخلوا عن طرائقهم وأساليبهم التقليدية، وتمسكوا بهذه الطرق الغربية، وكان لأسرة طاغور الحائز على جائزة نوبل في الأدب أثر كبير في الفن الهندي فقد دعت إلى التخلي عن الأثر الغربي للفن في شتى صوره.

والمصورون التشكيليون في الهند يعملون بطريقة تمزج بين الأسلوبين العربي والهندي التقليدي، وجربوا الأساليب المعاصرة المتباينة.

ولقد استمر حكم المسلمين في الهند أكثر من ثلاثمائة عام أبدع الفنانون المسلمون خلالها أعمالاً فنية عظيمة تتجلى في فن العمارة الإسلامي الذي شمل المسجد والقلاع، بل وبناء مدن كاملة مثل مدينة فتح بور، التي بناها الإمبراطور المغولي أكبر عام ١٥٧١م، والتي تتكون بعض مبانيها من خمسة طوابق، وفيها ميادين وحدائق عامة، ولم تكن المباني الإسلامية وسائر الفنون الإسلامية مركزة حول "دلهي"، بل انتقلت إلى مدن أخرى، وبنى شاه جهان - حفيد أكبر - عدداً كبيراً من المساجد والمباني الرخامية، ومنها تاج محل المشهور، وهذا ما نرى له مثيلاً في عمان من قلاع ومساجد وقلاع ذات صبغة هندية وفي حقيقة الأمر ذات أصل مغولي.

الخاتمة: التوصيات:

من العرض السابق يتضح أن ثمة تجليات أفرزتها الحضارة الهندية وتأثرت بها الحضارة العمانية حيث أدى احتكاك الطرفين معاً في مجتمع واحد هو المجتمع العماني إلى تأثيرات عديدة منها اللغة بألفاظها والأدب بفروعه سواء كان شعراً أم قصة أم رواية، فضلاً عن تأثيرات في مناح أخرى مثل الفنون (الفنون الشعبية) وفن العمارة.

بقي أن نشير إلى التوصيات التي توصل إليها البحث وهي:

- ضرورة التعمق في دراسة نتاج الرحالة الأجانب واعتبار كتبهم مادة جيدة لفهم واقع المجتمع العماني وفي هذا الشأن اقترح إنشاء مركز متخصص للدراسات الحضارية، أو وحدة للدراسات الحضارية تقوم على دراسة التأثيرات الحضارية المتبادلة بين عمان والدول الأخرى للوقوف على الظواهر التاريخية والاجتماعية، ومعرفة العوالم التي تتحكم في مسيرة هذه الظواهر، كما هو الحال في مراكز دعم اتخاذ القرار في الدول الكبرى.

- إعادة النظر في بعض المعلومات التي تقدّمها كتب الرحلة الأجانب، وذلك لأن كثيراً من تلك المعلومات تحتاج إلى وقفة تصحيحية.

- إعادة طباعة الكتب المترجمة للرحالة، بعد تنقيحها وإعادة كتابتها وفق ما تكشف من حقائق بعيداً عن وجهة نظر كانت محملة برؤية استعمارية.

بقي أن نشير إلى أن الهند دولة ذات تجربة فريدة وما وصلت إليه الآن، وتلك المكانة المرموقة التي احتلتها بين دول العالم وخاصة فيما يتعلق بالصناعات الصغيرة لذا يجب على عمان التي ارتبطت بها منذ أقدم العصور بعلاقات متنوعة أن تحاول الاستفادة من تلك التجربة، وخاصة إن عمان تمتلك المقومات المادية البشرية التي تؤهلها لذلك فضلاً على ما تمتلكه من رصيد ضخم من التراث الإنساني.

ثبت المصادر والمرجع

١. أبو الليل: الهند وتاريخها، لم يذكر اسم المطبعة وسنة الطبع
٢. أحمد الفاروقي: المرشد نانك في المنظور الإسلامي، مقال منشور في مجلة "ثقافة الهند"، دلهي، ١٩٩٢م
٣. استارت كيلي ويلتش: India Art and Culture، ١٣٠٠-١٩٠٠، مطبعة ما بين، ١٩٨٦م
٤. ثقافة الهند، العدد الأول من المجلد ٢٣، يناير ١٩٧٣م
٥. حيدر إبراهيم علي: آثار العمالة الأجنبية على الثقافة العربية، بحث مقدّم لندوة العمالة الأجنبية، يناير ١٩٧٣م، الكويت
٦. سعود سالم العنسي: العادات العمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٩١م
٧. سلسلة الفنون الشعبية، الجزء الأول، مسقط، ١٩٩١م
٨. صفوت كمال: سواف البحر، كتاب العربي، العدد الخامس، نوفمبر، ١٩٧٤م
٩. عبد الله ولسيون: جولة في الخليج العربي، ترجمة: سليم طه، دار المختار، بغداد، سنة ١٩٤٧م
١٠. فالح حنظل: معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات والساحل العماني، وزارة الإعلام، د.ت
١١. مجلة البعثة، العرب في بومباي
١٢. مجموعة باحثين: من فنون عمان التقليدية، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، مسقط، ١٩٩٠م
١٣. محمد فاتح صالح زغل: مناهج توثيق الفن الشعبي لدولة الإمارات والخليج العربي، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠م

- ١٤.المنتدى الأدبي: قرأت في القصة العمانية المعاصرة، دراسة مقدمة لحصاد ندوي، سبتمبر ٢٠٠١م، مسقط، ٢٠٠٢م
- ١٥.نجاه عبد القادر الجاسم: تاريخ صناعة السفن، مطابع الوطن، الكويت، سنة ١٩٨٠م
١٦. وزارة الإعلام: الفنون التقليدية، Donald Beach ،Seashell ،Oman، مقابل المدينة
١٧. يوسف شوقي مصطفى: آلات موسيقى عمان التقليدية، مركز عمان للموسيقى، مسقط، ١٩٩١م